نثر الجوهر

في

تفسير سورة الكوثر

دكتور

إبراهيم توفيق الديب

الأستاذ بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

نشر هذا البحث في

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

برقم إيداع ٦٣٧٣ / ١٩٩٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده : والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا تفسير وسيط لسورة الكوثر سميته : « نثر الجوهر في تفسير سورة الكوثر » .

وسورة الكوثر كغيرها من سور القرآن العظيم رصينة الألفاظ ، قوية السبك ، حكيمة المباني ، غزيرة المعاني ، وهي سورة معجزة ، بل كل آية منها فيها إعجاز ، وقد تحدى الله العرب الخلص وقت تنزل القرآن أن يأتوا بسورة من مثله - وهي أقصر سورة والتحدي بالإتيان بسورة من مثله أدنى درجات التحدي وإرخاء العنان - فعجزوا ، ولا يزال التحـــدي قائماً للإنس والجن منفردين ومجتمعين ، وإذا عجز العرب المعاصرون لنزول القرآن الكريم - وهم أرباب الفصاحة وفرسان البلاغة وملاك البيان - عن معارضتها فغيرهم من المعاصرين لهم ومن الآتين من بعدهم إلى آخر الزمان أعجز ، وإذا ما عجز الإنس فالجن أشد عجزا ، لأن الإنس أقوى من الجن في الجدل والاقتدار على الكلام والخصام ، والجن أقوى من الإنس في الأعمال وتحمل الأعباء والمشاق ، ولذا يقدم الله في القرآن المجيد الإنس على الجن في مجال القول ، ويقدم الجن على الإنس في مجال العمل .

وقد تحريت في تفسير السورة المباركة سهولة الأسلوب ، ووضوح الأفكار ، كما توخيت جودة التنظيم ، وحسن العرض ، وعزو الآيات إلى سورها ، وتخريج الأحاديث من مصادرها الموثقة ، ونسبة الأقوال وإضافتها إلى أصحابها ، والرجوع إلى أمهات المصادر والمراجع .

والله تعالى أسأل أن يهدى المسلمين بهداه ، ويوفقهم لتطبيق دينه والعمل به كاملا ، ويعيد إليهم عزتهم وأمجادهم ، وينفع بهذا التفسير قراءه ، ويجعله خالصا لوجهه ، وابتغاء مرضاته ، وفى ميزان حسناتى ،ويوفقنى وسائر المسلمين لشكر آلائه ، ويعصمنا من الزلل فى القول والعمل ، ويرحم أمواتنا وشيوخنا وأموات المسلمين ، ويصلى ويسلم على سيدنا وأسوتنا محمد وعلى آله وصحبه ، كلما ذكره الذاكرون ، وغفل عن ذكره الغافلون ، إنه سميع مجيب .

(سورة الكوثر)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إنا أعطيناك الكوثر (١) فصل لربك وانحر (٢) إن شانئك هو الأبتر (٣) ﴾ .

اسم السورة :

وهذه السورة تسمى بسورة الكوثر ، لذكر لفظ الكوثر فيها ، ويسميها بعض العلماء بسورة النحر ، للأمر بالنحر فيها فى قوله تعالى : « وانحر » ، وبسورة : إنا أعطيناك ، لذكر هذه الجملة فى صدرها .

وبعض السور القرآنية له اسم واحد ، وبعضها له أكثر من اسم ، ومعلوم أن أسماء السور المشهورة توقيفية أى منزلة من عند الله تعالى ، فالله هو الذى سمى كل سورة باسمها ، ووقف جبريل عليه السلام على التسمية ، ووقف جبريل رسول الله محمداً عليهما السلام على التسمية ، وبلغ رسول الله أصحابه بذلك ، فلادخل لأحد من الصحابة ولا لرسول الله ولا لجبريل فى تسمية أى سورة بأسمها التوقيفى .

وما أطلقه بعض السلف وبعض العلماء - رحمهم الله تعالى - على بعض السور من أسماء هى بمثابة الأوصاف والنعوت فذلك ناتج عن اجتهادهم وقراءتهم لها ووعيهم لمضمونها .

والاسم المشهور والتوقيفى لهذه السورة الكريمة هو : الكوثر .

عدد آياتها وكلماتها وحروفها :

وعدد آيات هذه السورة الطيبة المباركة ثلاث آيات(١) .

وعدد كلماتها عشر كلمات ، وعدد حروفها اثنان وأربعون حرفا .

ومن المعلوم أن تقسيم القرآن الكريم إلى سور ، وتقسيم كل سورة إلى آيات أمر توقيفى ، أى من الله تبارك وتعالى لادخل لأحد من الخلق فيه .

زمن نزولها وترتيبها :

وهذه السورة من السور المختلف فى زمن نزولها :

فجمهور العلماء يرون أنها نزلت قبل الهجرة إلى المدينة المنورة ، أى هى سورة مكية ، نزلت بعد سورة العاديات ، ثم نزل بعدها سورة التكاثر .

وهذا القول هو المشهور عن الصحابة وكثير من التابعين والمفسرين .

وبعض العلماء يرون أنها نزلت بعد الهجرة ، أى هى سورة مدنية .

وممن قال به من السلف مجاهد بن جبر وعكرمة مولى ابن عباس والحسن البصرى وقتادة بن دعامة السدوسى . وقال به بعض المفسرين كالخازن وابن كثير(٢) .

وإن المتتبع للروايات الواردة فى هذه السورة الكريمة يجد فيها أن لكل من القولين ما يؤيده ويشهد له .

فقد أخرج ابن مردويه بسنده عن عبدالله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعائشة رضى الله تعالى عنهم : أن سورة الكوثر نزلت بمكة(٣) .

وورد فى سبب نزولها الآتى ذكره ما يثبت أنها سورة مكية .

(١) الإمام الشافعى رحمه الله يرى أن البسملة آية من كل سورة ذكرت فى أولها .
(٢) انظر لباب التأويل للخازن ج ٧ ص ٣٠٤ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٥٥٦ .
(٣) الدر المنثور للسيوطى ج ٨ ص ٦٤٦ ، وفتح القدير للشوكانى ج ٥ ص ٥٠٢ .

وورد فى الروايات الآتى ذكرها المتكلمة عن معنى الكوثر ما يفيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى كوثره ، وأطلعه الله عليه فى ليلة الإسراء والمعراج ، وأن جبريل عليه السلام قال له : هذا الكوثر الذى وعدك به ربك ، وأخبر أنه نهر عظيم ، ووصفه .

والإسراء والمعراج كانا قبل الهجرة إلى المدينة بزمن .

فهذا مما يقوى القول بأنها سورة مكية .

ووردت روايات - ستأتى - عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه تفيد أن السورة نزلت بالمدينة ، لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأها مبتسما وهو بين أظهرهم فى المسجد بعد أن أغفى إغفاءة نزل فيها عليه الوحى ، وأخبرهم بالكوثر الذى وعده به ربه ، ووصفه لهم .

وأنس من الأنصار ، فهو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الأنصارى الخزرجى من بنى عدى بن النجار ، وكان خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

وفى السورة أمر بالصلاة والنحر ، والأمر بالنحر أى ذبح الأضحية والنسك كان بعد الهجرة بزمن .

فهذا مما يفيد أن السورة مدنية .

ولكون زمن نزولها مختلفا فيه أراد بعض العلماء أن يخرج من هذا الخلاف ويتخلص منه فقال إن هذه السورة تكرر نزولها ، أى نزلت قبل الهجرة مرة ، ثم نزلت بعد الهجرة ثانية ، أى هى سورة مكية مدنية معاً لنزولها مرتين(٢) .

وهو قول لانص عليه ولامستند له ، وأنا أميل إلى القول بمكيتها لقوة الأدلة ووضوحها فى ذلك ، وهو رأى الجمهور .

(١) انظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ١/١٥١ .

(٢) انظر روح المعانى للألوسى ٣٠/٢١٢ .

أما ما ورد مما يفيد مدنيتها فيمكن توجيهه بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ في المدينة بين أظهر أصحابه السورة النازلة عليه من قبل في مكة، وأن إغفاءة الوحي التي حصلت له وقتئذ كان فيها تجديد إخباره بمعنى الكوثر، وتشويقه إليه، وتذكيره بفضل الله عليه، وتطمينه له، ولذا تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك من فرحته وتجديد بشارته، وأخبر الكثيرين من الأنصار الحاضرين حوله - ومعهم بعض المهاجرين - بمنة الله عليه، كما أخبر المهاجرين من قبل إبان مكثهم بمكة.

أما الأمر بالصلاة والنحر في السورة فليس مقصورا على صلاة عيد الأضحى وذبح الأضحية كما قد يتوهم، بل الأمر عام يشمل كل صلاة وكل ذبح شريطة توحيد الله والإخلاص له، وابتغاء رضاه في ذلك كما سيأتي بيانه مستوفى إن شاء الله تعالى.

وهذه السورة هي الثامنة بعد المائة في ترتيب سور القرآن الكريم قراءة وكتابة، ومعروف أن ترتيب الآيات في سورها أمر توقيفي باتفاق العلماء وإجماعهم، أما ترتيب السور ففيه خلاف بينهم والراجح بل الحق أنه توقيفي كترتيب الآيات(١).

فضلها:

ولهذه السورة مكانة عالية، ومرتبة سامية، فهي على قصرها ووجازة ألفاظها جليلة القدر، رفيعة الشأن، تحدى الله الإنس والجن أجمعين على مر العصور منذ نزول القرآن أن يأتوا بسورة من مثله - وهو أقل درجة في التحدي إذ التحدي كان بالتدرج من أعلى إلى أدنى - فعجزوا.

(١) للمؤلف كتاب بعنوان: الدر النظيم في مباحث من علوم القرآن الكريم طبعة دار الوفاء بالمنصورة عام ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م كتب فيه مبحثا عن ترتيب الآيات والسور، فارجع إليه إن شئت وأردت المزيد ص ١٧٩ - ٢٣٢.

وهى أقصر سورة فى القرآن ، ولا يزال التحدى بها قائما ، وسيظل إلى آخر الزمان ، وعجزهم عن معارضتها والإتيان بسورة من مثلها قائم ومستمر أبد الآبدين ، ودهر الداهرين ، ولئن عجزوا عن معارضة أقصر سورة فيه وهى سورة الكوثر فعجزهم عن معارضة غيرها أظهر وأوضح .

وهى تخبر بأمور مغيبة ، وكلها واقعة كما أخبرت ، وجميعها حقائق لا تنقض ولا تتخلف « وعد الله لا يخلف الله وعده »[1] .

وتتعلق السورة كلها برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتختص به ؛ فهى كسورتى الضحى والشرح فى بيانها نعم الله ومننه وفضله عليه ومحبته له .

والخيرات والمنن والفضائل والنعم التى تنوه بها يفيض منها الكثير على أمته فى الدنيا والآخرة ، ولذا سر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبسم بعد انكشاف الحالة التى كانت تعتريه إبان نزول الوحى عليه وهى كالبرحاء .

أخرج مسلم وأحمد وأبو داود والنسائى والبيهقى فى سننه والبغوى وابن أبى شيبة وغيرهم بأسانيدهم إلى أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال :

« بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ، ثم رفع رأسه مبتسما ، فقلنا : ما أضحكك يا رسول الله ؟ قال : أنزلت على آنفا سورة ، فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم « إنا أعطيناك الكوثر ، فصل لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر » ثم قال : « أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل فى الجنة ، عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم ، فيختلج - أى ينتزع ويجذب - العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتى ، فيقول : ما تدرى ما أحدث بعدك »[2] .

---

(١) سورة الروم آية ٦ .

(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الصلاة باب حجة من قال البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة ٣٧/٢ والمسند للامام أحمد ١٠٢/٣ وسنن =

ولا تظن أخى القارىء أن هذه الإغفاءة نوم بالمعنى المعهود لدى الناس ، وإنما هى الحالة التى كانت تغشاه وقت نزول الوحى عليه ؛ وهى غيبوبة عما حوله لثقل الوحى عليه ، إذ القرآن الكريم لم ينزل منه شىء إلا بواسطة جبريل أمين الوحى عليه السلام ، وما أوحى الله تعالى بشىء منه إلى رسوله محمد إلا وحيا جليا وفى حالة يقظة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلم ينزل منه شىء عن طريق تكليم أو إلهام أو منام ، وما نزل منه وهو فى فراشه نزل فى حالة يقظته واستلقائه واسترخائه لا فى حال نومه صلى الله عليه وسلم .

وتلق رسولنا الكريم القرآن عن جبريل الكريم عليهما السلام بحالتين ذكرهما الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى ومالك وأحمد وغيرهم بأسانيدهم عن عائشة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها : أن الحرث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال ؛ وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول .

قالت عائشة رضى الله تعالى عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا(١) .

= أبى داود كتاب الصلاة باب من لم ير الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ٢٠٨/١ ، وكتاب السنة باب فى الحوض ٢٣٧/٤ ، وسنن النسائى كتاب الإفتتاح باب قراءة بسم الله الرحمن الرحيم ١٣٣/٢ - ١٣٤ ، وسنن البيهقى كتاب الصلاة ٤٣/٢ ، وقال البيهقى معقبا : والمشهور فيما بين أهل التفسير والمغازى أن هذه السورة مكية اهـ ، ومعالم التنزيل للبغوى على هامش تفسير الخازن ج ٣٠٠/٧ .

(١) انظر صحيح البخارى كتاب بدء الوحى باب كيف كان بدء الوحى ٤/١-٥ وكتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة ١٣٦/٤ وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب طيب عرقه صلى الله عليه وسلم والتبرك به ٨٥/١٥ وسنن الترمذى أبواب المناقب

أما الحديث الذي ذكره في فضلها بعض المفسرين كالزمخشري والطبرسي والبيضاوي وأبي السعود[1] ونسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصه :

« من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر في الجنة ، ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر أو يقربونه » .

فهو حديث موضوع لا أصل له ، ولا تشم منه رائحة النبوة ، ولا يشع منه نورها وإشراقها .

وقد وضع بعض الجهال الحمقى حديثا طويلا في فضائل السور ينتهي سنده إلى أبي بن كعب ، ورفعوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاذبين على رسول الله وعلى أبي ، لأن رسول الله لم يقله وهو برىء منه ، وكذلك أبي رضي الله عنه ، ونبه العلماء على ذلك أكثر من مرة ، وفي غير موضع ، ومنهم العلامة الفهامة الحافظ ابن حجر في تخريجه لأحاديث الكشاف للزمخشري[2] . والحديث المذكور قطعة منه ، فلا اعتداد به ، ولا تعويل عليه بل هو مردود على منتحليه وصانعيه ، قبحهم الله وأخزاهم .

= باب ماجاء كيف كان ينزل الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ٥/٢٥٨ وقال: حديث حسن صحيح وسنن النسائي كتاب الافتتاح باب جامع ماجاء في القرآن ٢/١٤٧-١٤٩ ، والموطأ للامام مالك كتاب القرآن باب ما جاء في القرآن ص ١٤٣ والمسند للامام أحمد ٦/١٥٨/١٦٣/٢٥٧ .

(١) انظر الكشاف للزمخشري ٤/٢٣٨ ومجمع البيان للطبرسي ٩/٨٣٥ - وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢/٤٥٣ وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٩/٢٠٦ .

(٢) انظر الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر وهو مطبوع في نهاية تفسير الزمخشري في النسخة التي بيدي .

وتهدف هذه السورة العظيمة إلى :

تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبشيره وتطمينه على مستقبله ومستقبل دينه وأمته فى الدنيا والآخرة .

وإلى شكره تعالى وحده شكرا جزيلا مخلصا له الشكر والعمل .

وإلى كبت أعدائه وأعداء دينه وقمعهم وبيان خيبة حالهم وخسران مآلهم .

مناسبة السورة الكريمة لما قبلها :

والسورة الكريمة مرتبطة بما قبلها ومتصلة بها أتم اتصال :

فالله عز وجل لما وصف فى السورة السابقة - سورة الماعون - الكفار بتكذيبهم بالدين وهو الجزاء بعد البعث ، وشح أنفسهم وبخلهم على اليتيم والمسكين وردهم له إذا ما سأل ردا قبيحا مزريا ، ودفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ومهانة ، وتوعد من يسلكون مسلك الفجرة المكرة فيتركون الصلاة ويسهون عنها أصلا ، أو يؤدونها بعدم إتقان وخشوع وإخبات وخضوع ، أو يؤدونها بقلة مبالاة واكتراث ، أو يؤدونها رياء وسمعة وتباهيا، ويمنعون حقوق الفقراء ولا تمتد أيديهم إليهم بخير ، أولا يوجد بينهم وبين غيرهم من الناس تعاون وتواد وتبادل منافع وفق الشرع والعقل : ذكر فى سورة الكوثر أن حال رسول الله صلى الله عليه وسلم مباينة لحالهم تمام المباينة ، ومغايرة لها كامل المغايرة : فقد أكرمه الله وأعطاه الخير الكثير ، وأمره بالمداومة على الصلاة والتصدق والإخلاص التام فى العبادة ، وحفظه من كيد أعدائه ، وجعل كيدهم فى تضليل ، وبغض مبغضيه مردوداً إلى نحورهم .

فالكافر المذكورة صفاته القبيحة المذمومة الخسيسة فى السورة السابقة يموت ويبوء بالخسران المبين ولا يبقى له ذكر طيب ولا أثر خير .

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره الجميل باق عطر فى الدنيا فى السماوات والأرض، وثوابه الجزيل فى الآخرة لا يحصى، ومكانته الرفيعة لاتدرك ولاتدانى .

ولذا ذكر الإمامان الفخر الرازى وأبو حيان وغيرهما أن سورة الكوثر كالمقابلة لسورة الماعون ، وبيان ذلك :

أن سورة الماعون وصف الله فيها المنافق بأربعة أمور :

الأول : البخل وذلك فى قوله : (يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين) والبخل ينم عن الدناءة واللؤم .

الثانى : ترك الصلاة والغفلة عن تعظيم الخالق ، وذلك فى قوله : (الذين هم عن صلاتهم ساهون) .

الثالث : الرياء فى الصلاة وغيرها ، وذلك فى قوله : (الذين هم يراءون) والرياء شعبة من الشرك .

الرابع : منع الزكاة وعدم نفع الخلق بما يحتاجون ، وذلك فى قوله : (ويمنعون الماعون) .

وفى سورة الكوثر ذكر الله :

فى مقابلة البخل : قوله : (إنا أعطيناك الكوثر) ، أى الخير الكثير فأعط الكثير ولا تبخل .

وفى مقابلة ترك الصلاة : الأمر بها فى قوله : (فصل) ، أى دم عليها .

وفى مقابلة الرياء : الإخلاص فى قوله : (لربك) ، أى صل لرضاه لا لمراءاة الناس .

وفى مقابلة منع الماعون : الأمر بالنحر والتصدق فى قوله : (وانحر) ، أى تصدق بلحوم الهدى والأضاحى وغيرها من الذبائح ، وابتغ بنحرك وتصدقك رضا الله .

فقابل الله اربعا باربع[١] .

وفى السورة الثانية إلى جانب ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وإيذائهم له واتصافهم بهذه الصفات القبيحة الرذيلة .

فلله در هذه المناسبة : إنها مناسبة عجيبة حكيمة ، ما أبدعها وأنفسها ، وما أجلاها وأحلاها ، وليس هذا بمستغرب فى القرآن المجيد ، فهو شأن التناسب بين سوره كلها وآياته جميعها[٢] .

سبب النزول :

تعددت الروايات ، وتنوعت الأقوال فى سبب نزول هذه السورة الكريمة .

فروى عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها نزلت فى العاص بن وائل السهمى ، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد الحرام ، وهو يدخل ، فالتقيا عند باب بنى سهم ، وتحدثا وأناس من صناديد قريش فى المسجد جلوس : فلما دخل العاص قالوا له : من الذى كنت تحدث ؟ قال : ذاك الأبتر ، يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله من خديجة رضى الله عنها ، وكانوا يسمون من ليس له ابن : أبتر ، فأنزل الله تعالى هذه السورة[٣] .

---

(١) انظر مفاتيح الغيب ويسمى التفسير الكبير لفخر الدين الرازى ٣٢/١١٧ ، والبحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ٨/٥١٩

(٢) للمؤلف كتاب بعنوان : العقد الفريد فى مباحث من علوم القرآن المجيد طبعة دار الوفاء بالمنصورة عام ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م كتب فيه بحثا طويلا نفيسا عن التناسب بين الآيات والسور فارجع إليه إن أردت والله الموفق ص ٩ - ٨٨ .

(٣) وقيل إن الذى مات أولا هو ابنه القاسم ، وكان صلى الله عليه وسلم يكنى به ، والكفار تحادثوا وتناجوا بهذه النجوى السيئة الخبيثة سرا ، فأطلع الله رسوله فى هذه السورة على ما قالوا عنه فكان ذلك معجزة ، ولو كان عندهم مسكة من عقل =

فإنما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو هلك انقطع ذكره واسترحتم منه ، فأنزل الله تعالى فى ذلك سورة الكوثر .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن العاص بن وائل كان يمر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويقول : إنى لأشنؤك ، وإنك لأبتر من الرجال، فأنزل الله فيه : إن شانئك هو الأبتر(١) .

وأخرج الإمام ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى والبزار بسند صحيح عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال(٢) .

لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت له قريش : أنت خير أهل المدينة وسيدهم : قال : نعم ، قالوا : ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السدانة ، وأهل السقاية ، قال : أنتم خير منه ، فنزلت فيهم : إن شانئك هو الأبتر ، ونزلت : ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا(٣) .

= رجيح وفهم صحيح لآمنوا به عقب نزول هذه السورة الكاشفة الفاضحة لهم لكن : « من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » سورة المائدة آية ٤١ - ولعذاب الآخرة أشد وأخزى ، وأبقى وأنكى .

(١) انظر أسباب النزول للواحدى ص ٥٠٤،٥٠٣ ولباب النقول للسيوطى ص ٢٣٦،٢٣٥ .

(٢) انظر جامع البيان للطبرى ٣٢٩/٣٠ - ٣٣٠ والمعجم الكبير للطبرانى ٢٥١/١٠ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٥٩/٤ ، ولباب النقول للسيوطى ٢٣٥/٧٠ .

(٣) الصنبور لفظ مشترك يطلق على عدة معان منها : الرجل الفرد الضعيف =

ابن عباس رضى الله عنهما قال :

لما أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش : بتر محمد منا — أى خالفنا وانقطع عنا — فنزلت : « إن شانئك هو الأبتر » .

وأخرج ابن جرير بسنده عن شمر بن عطية قال :

كان عقبة بن أبى معيط يقول : إنه لا يبقى للنبى — صلى الله عليه وسلم — ولد وهو أبتر ، فأنزل الله فيه : إن شانئك هو الأبتر .

وقيل : نزلت فى أبى جهل ، فإن ابن رسول الله لما مات قال أبو جهل : إنى أبغضه لأنه أبتر .

وقيل : نزلت فى عمه أبى لهب لأنه كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصفه بأنه أبتر (١) .

= الذليل الذى لا أهل ولا عقب ولا ناصر له من قريب أو غريب ، والإثم ، والسعفات التى تنبت فى جذع النخلة وتضرها وتؤذيها ودواؤها قطعها ، والنخلة المنفردة الدقيقة الجذع الضعيفة التى يتقشر أسفلها

وهذه المعانى قصد الكفار وصف رسول الله بها ، يريدون أنه ضعيف ذليل لا تيمة له ولا خير فيه ، وأنه كالسعفة أو النخلة التى يربح بترها وقطعها انظر الصحاح للجوهرى ص ٧٠٨ والقاموس المحيط للفيروزابادى ٧٣/٢ — والآيتان الكريمتان من سورة النساء ٥١ — ٥٢ — ولعل ابن عباس رضى الله عنهما قصد بقوله : نزلت فيهم : « إن شانئك هو الأبتر » شمول الآية لهم بعمومها ، فلا ينافى كونها مكية كما هو الراجح

(١) انظر لباب النقول ص ٢٣٥ ومفحمات الأقران فى مبهمات القرآن وكلاهما للسيوطى ، ومفحمات الأقران مطبوع على هامش أواخر حاشية الجمل على الجلالين المسماة بالفتوحات الإلهية ... ٦٢٤/٤ — وانظر كتب التفسير بالمأثور وبالرأى فى تفسير السورة الكريمة كالدر المنثور للسيوطى ٦٥٢/٨ ، ٦٥٣ وجامع البيان للطبرى =

فقيل : إنها نزلت فى العاص بن وائل ، وقيل فى جماعة من قريش التقوا بكعب بن الأشرف اليهودى وقالوا ما قالوا ، وقيل : نزلت فى عقبة بن أبى معيط ، وقيل فى أبى جهل ، وقيل فى أبى لهب .

والظاهر أن وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه أبتر كان متكررا وشائعا بين أهل مكة المشركين ، وأن كلا من أكابر مجرميها كان يقوله ، ويعد ذلك عيبا يلمزبه رسول الله وينفر الناس من اتباعه . وأن الذى تولى كبره والترويج له هو العــــاص بن وائل ، فلذلك اشتهرت الروايات وتوافرت وتضافرت بنزولها فيه ، وهذا لا يمنع إشراك غيره فى السببية لاشتراكه فى إيذاء الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك الوصف البغيض .

والرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدعا فى عدم بقاء عقب له ، فبعض النبيين الذين هم هداة البشر وروادهم وأفاضلهم لم يكن له عقب أصلا ، وبعضهم وهبه الله ذكورا ، وبعضهم وهبه الله إناثا ، وبعضهم وهبه الله ذكورا وإناثا ، فالأولاد نعمة من الله يهبها من يشاء من عباده ويمنعها عمن يشاء ، ويعطى النوع والعدد الذى يشاء من يشاء ، ولا دخل لأحد من خلقه فى ذلك ، بل مرد ذلك إليه وحده ، ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين .

ولا يزال بعض الجهال فى بعض الأسر يترددون فى هذا الجرم الشنيع إلى يومنا هذا ، فينتقصون ويعيبون ويعيرون من لا ولد له ، ومن يموت أولاده

= ٣٢٩/٣٠ ، ٣٣٠ وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٥٩/٤ ومعالم التنزيل للبغوى على هامش تفسير الخازن ٣٠٥/٧ ومفاتيح الغيب للفخر الرازى ١٣٢/٣٢ - ١٣٣ والجامع لأحكام القرآن للقرطبى ص ٧٣١٢ ، ٧٣١٣ وفتح القدير للشوكانى ٥٠٣/٥ ، ٥٠٤ وغيرها من كتب التفسير وأمهاته .

عدوى جاهلية وحماقة وسفاهة قاتلة ، أعاذنا الله منها ، إذ الموت والحياة بيد الله وحده ، ولا اختيار لأحد فيهما .

القراءات الواردة فى السورة :

قرأ جمهور القراء : (أعطيناك) بالعين .

وقرأ الحسن البصرى وطلحة بن مصرف وابن محيصن محمد بن عبد الرحمن والزعفرانى (أنطيناك) بالنون ، وورد عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ بها[1] .

وورد أنه صلى الله عليه وسلم نطق بالنون فى موضع العين كقوله فى كتابه إلى وائل بن حجر الحضرمى حين قدم عليه من اليمن : وأنطوا الثبجة[2] .

وهى لغة للعرب العاربة من أولى قريش ، يقولون فى « أعطيتك » : « أنطيتك » .

وهذه القراءة المخالفة لقراءة الجمهور قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصاحف العثمانية كلها ، ولروايتها بطريق الآحاد .

---

(١) روى الحديث الطبرانى ، والدارقطنى فى المؤتلف ، والحاكم بن مردويه ، والثعلبى من رواية عمرو بن عبيد عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها ، وعمرو بن عبيد واهى الحديث : أنظر الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف للحافظ ابن حجر ص ١٨٨ وهو مطبوع بآخر تفسير الكشاف للزمخشرى .

(٢) أى أعطوا الوسط فى الصدقة فلا تكون من خيار المال ولا من رذالته ، وألحقها تاء التأنيث لانتقالها من الاسمية إلى الوصفية : أنظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٢٠٦/١ والفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ١٤/١ والقاموس المحيط للفيروزابادى ١٨٠/١ .

وقرأ أبو جعفر يزيد بن القعقاع : « شانيك » بإبدال الهمزة ياء مفتوحة كوقف حمزة بن حبيب الزيات(١) .

وقراءة أبي جعفر يزيد بن القعقاع قراءة مقبولة فهو أحد القراء العشرة المشهورين والمجمع على قبول قراءاتهم ، وتتوافر فيها شروط قبول القراءة .

(١) إتحاف فضلاء البشر للبناء الدمياطي ص ٤٤٤ والبحر المحيط لأبي حيان ٥١٩/٨ .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

رأى العلماء فى البسملة :

أجمع العلماء على أن البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم) قرآن نازل من عند الله تعالى ؛ كما أجمعوا على أن البسملة المذكورة فى داخل سورة النمل جزء من الآية المذكورة بها وهى قوله تعالى : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم »(١) .

واختلفوا فى البسملة المذكورة فى أول كل سورة :

فذهب الإمام الشافعى وأحمد فى إحدى الروايات عنه وغيرهما من الفقهاء والقراء بمكة والكوفة إلى أنها آية من كل سورة ذكرت فى أولها .

وذهب هذا المذهب من قبل كثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم .

وذهب الإمام أبو حنيفة والأوزاعى وغيرهما من الفقهاء والقراء بالمدينة والبصرة إلا أنها ليست بآية من كل سورة ذكرت فى أولها ، وإنما هى آية مستقلة قائمة بذاتها ، أنزلها الله للفصل بين السور والتبرك بالبدء بها .

وذهب الإمام مالك إلى أنها ليست بآية من كل سورة ذكرت فى صدرها وإنما تكتب فى المصاحف وتقرأ للتبرك بها .

معنى البسملة :

أستفتح عملى مستعينا ومتيمنا بسم الله ، فهو المعبود بحق والمتصف بجميع

---

(١) سورة النمل آية ٣٠ .

الصفات العليا وله الأسماء الحسنى ، ولا تماثلها صفات خلقه ، وهو الذي وسعت رحمته كل شيء ، وله الخلق والأمر ، وأبرأ من حولى وطولى ومن كل مافعله ويفعله السفهاء الضالون والفسقة الظالمون الذين يبدءون أعمالهم مستعينين بذكر أسماء غير اسمه ، أو يبدءون أعمالهم غافلين عن ذكر اسمه والاستعانة به جل وعلا(١) .

﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ :

« أعطيناك » ، أي منحناك وملكناك على سبيل التفضل والإكرام والامتنان والإنعام .

و « الكوثر » من الكثرة ، وهو على وزن : فوعل ، أي الشيء المفرط فى الكثرة ، والعرب كانوا يصفون كل شيء كثير فى العدد أو كثير فى القدر أو الخطر بالكوثر ، ومنه قول الأعرابية العجوز لما سئلت بعد عودة ابنها من السفر : بم آب ابنك ؟ قالت : آب بكوثر ، أى آب ورجع بشيء كثير ، وخير وفير .

ويقال للرجل الكثير الخير السخى اليد المعطاء السيد فى قومه : كوثر . ويقال للغبار المثار الكثير : كوثر ، ويقال : تكوثر الشيء : إذا كثر كثرة هائلة .

ومن ذلك المعنى قول الكميت مادحا :

وأنت كثير يا ابن مروان طيب ... وكان أبوك ابن العقائل كوثرا(٢)

---

(١) للمؤلف كتاب يسمى « إتحاف الجنان بتفسير أم القرآن طبعة دار الوفاء بالمنصورة عام ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م فسر فيه البسملة تفسيرا تحليليا ٢٤ - ٣٥ وله كتاب آخر تحت الطبع فى دار الوفاء بعنوان : اللمعة فى تفسير سورة الجمعة التى الفتوه فيه على البسملة ، فارجع إليهما إن أردت .

(٢) العقائل جمع عقيلة ، والعقيلة هنا كريمة الحى : انظر الصحاح للجوهرى ص ١٧٧٠ .

وقول حسان بن نشبة :

أبوا أن يبيحوا جارهم لعدوهم   وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا(١)

فالكوثر فى الآية الكريمة صفة لموصوف مقدر ، وجاءت الصفة على هذه الصيغة لإفادة المبالغة فى كثرة المعطى ، ومن نظائر هـــذه الصفة : النوفل فى النفل ، والجوهر فى الجهر .

والمبالغة فى القرآن الكريم حقيقة وليست خيالا ولا إدعاء ولا وهما وإنما كل مبالغاته حقائق ووقائع ، وفيها تقريب للمعانى إلى الأفهام ، أما كنهها وكمها فلا يعلمه إلا الله تعالى .

واختلف المفسرون فى الموصوف بالكوثر والمراد به ، وكثرت أقوالهم حتى بلغت ستة وعشرين قولا ، وإليك أشهرها وأهمها :

١ — أنه أسم نهر فى الجنة ، منحه الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهذا القول هو المشهور المستفيض عند السلف والخلف ، ووردت فيه أحاديث وآثار حتى تواتر الحديث فيه تواترا معنويا .

ولعل النهر الذى اختص الله به رسوله صلى الله عليه وسلم سمى بهذه التسمية لأنه أكثر أنهار الجنة ماء وخيرا ومنافع وبركة وريا ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم : إنه نهر وعدنيه ربى فيه خير كثير(٢) ، أو لأن أنهار الجنة تنفجر وتنبجس منه ، أو لأن الواردين له الشاربين منه كثيرون لا يحصيهم إلا إلا الله تعالى .

٢ — أن الكوثر : الحوض الذى منحه الله له صلى الله عليه وسلم ، ورويت فيه أحاديث وآثار حتى تواتر الحديث فيه تواترا معنويا .

ولا تعارض بين هذا القول وبين سابقه ، فلعل النهر الكوثر يسيل وينصب

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور ص ٣٨٢٨ .
(٢) سبق تخريجه فى ذكر فضل السورة .

فى الحوض وهو الظاهر لما ورد فى صفة الحوض يوم القيامة : من أنه يشخب ـ أى يسيل مافيه ويتدفق تدفقا متتابعا ـ فيه ميزابان من الجنة ، وأن آنيته عدد نجوم السماء(١) ،

أو لعل أنهار الجنة تسيل من ذلك الحوض العظيم وهو منبعها وأصلها .

وللنبى صلى الله عليه وسلم حوضان : أحدهما فى المحشر قبل الميزان والصراط لأن الناس ـ ومنهم أمته ـ يخرجون من قبورهم عطاشا . وثانيهما بعد الصراط ويشرب منه المؤمنون من أمته الذين أجتازوا الصراط ، أما الكفار والعصاة فلا يجتازون الصراط ويقعون فى جهنم ويدعون فيها دعا .

وروى أن للأنبياء حياضا قبل الصراط يشرب منها الصالحون المتبعون لهم ، أما الكافرون فتذودهم الملائكة عن الحياض بعصيٍّ من نار(٢) .

٣ — أن الكوثر : أولاده وذريته صلى الله عليه وسلم ، وصاحب هذا القول نظر إلى سبب النزول وختام السورة ، فالسورة تكرم رسول الله وترد على من عابه لموت أولاده الذكور ، وتشير إلى أن الله أكرمه وأعطاه ذرية باقية على مر الزمن وكر الدهر ، وفيهم الأكابر من العلماء والأماجد من الفضلاء كمحمد الباقر وجعفر الصادق وغيرهما ، ولا يزال أهل البيت موجودين بكثرة ووفرة فى أنحاء المعمورة وشتى بقاع الأرض ، وسيتناسلون إلى آخر الزمان

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ٥/١٥٠ - ١٦٣ ومسند أحمد ٥/٣٩٣ والروايات عن أبى ذر وغيره من الصحابة .

(٢) سنن الترمذى أبواب صفة القيامة باب ما جاء فى صفة الحوض ٤/٤٧ وهو مروى عن سمرة بن جندب رضى الله عنه وقال الترمذى : حديث حسن غريب .

وأخرج حديث الحوض التى فيها صفاته ومقداره ووصف آنيته كثير من المحدثين بأسانيدهم فى مصنفاتهم . وانظر حاشية الجمل على الجلالين ٤/٥٩٤ وروح المعانى للألوسى ٣٠/٣١٣ .

أما أعداؤه الذين عابوه فلم يبق لهم من نسلهم شيء يذكر ، وليسوا شيئا بالقياس إلى آل بيت النبوة .

٤ — أن الكوثر : علماء أمته ، ولا شك أن علماء أمته كثيرون، ولايخلو من كثرتهم عصر ، وهم يعملون على نشر دينه ورفع رايته ، ويحاربون البدع والخرافات ؛ ويزجرون أهل المعاصي والموبقات ، فهم حماة الدين وحراس العقيدة .

٥ — أن الكوثر : النبوة ، ولا ريب أنها الأصل الثاني في أصول الدين ولابد من الإيمان بها بيقين ، وهي ينبوع كل خير وبر ، وبها نهتدي إلى أمور ديننا ونعرف ماغاب وخفي عنا من السمعيات، والرسول الحظ الأعلى والمنقبة الفضلى في ذلك ، فهو مذكور قبل جميع الأنبياء ، وهو آخرهم في البعثة ومسك ختامهم ، ومبعوث إلى الثقلين ، وإلى الناس كافة ، ورسالته عالمية دائمة باقية . ويحشر يوم القيامة قبل الأنبياء قاطبة ، وفضائل نبوته لاتحصى ولا تستقصى .

٦ — أن الكوثر هو القرآن ؛ والقرآن خاتم الكتب السماوية والمهيمن عليها، وهو دستور الإسلام وركنه الركين، ومعجزة رسول الله الكبرى، وهي معجزة دائمة سرمدية ؛ ولا قوام للإسلام والمسلمين إلا به ، وفيه الخير الكثير للإسلام والمسلمين ، وأقر بذلك أهله ودارسوه وأعداؤه وجاحدوه .

٧ — أن الكوثر هو الإسلام ، وبالإسلام يحصل المرء الخير الكثير في الدنيا والآخرة وينعم في العاجل والآجل ، ومن تفوته هذه النعمة تكون حياته كعدمها ، ويحيا في دنياه كالأنعام بل أضل سبيلا ، ويدخل في الآخرة جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ويصطلي بنارها ويعذب بعذاب أليم ومهين .

٨ — أن الكوثر كثرة أتباعه وأشياعه صلى الله عليه وسلم ، ومامن شك في أن الكرة الأرضية تعج وتمتلىء بهم من الإنس والجن ، ولا يحصى عددهم إلا الله

بارئهم وهاديهم ، ويدخل كثير منهم الجنة بغير حساب ، ويباهى الله بهم ، ويتمنى كل نبي لو كانوا هم أمته هو .

٩ — أن المراد بالكوثر الفضائل الكثيرة المجتمعة المتكاملة فيه ، والرسول صلى الله عليه وسلم أعطاه الله فضائل لا تحصى ومناقب لا تستقصى وجعله خير الأنبياء وأفضل الخلق وسيد ولد آدم عليه السلام .

١٠ — أن الكوثر رفعة ذكره وإعلاء شأنه كما قال تعالى : ورفعنا لك ذكرك(١) .

١١ — أن الكوثر هو الحكمة والعلم الكثير الذى فتح الله به عليه ، والعلم رأس الكمالات وأساس الرشاد ولذا قال تعالى له : وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما(٢) ، وأمره بطلب العلم والازدياد منه فى قوله : «وقل رب زدنى علما»(٣) ، وقال : ومن يؤت الحكمة فقــد أوتى خيراً كثيراً(٤) .

١٢ — أن الكوثر : الخلق الحسن ، ولا ريب أن الخلق الحسن محمود ومطلوب ، وقد كان لرسول الله فيه قصب السبق ، وكان له القدح المعلى ، كان أحسن الناس خلقا ، وأزكاهم نفسا ، وأطهرهم قلبا ، ووصفه الله بقوله : وإنك لعلى خلق عظيم(٥) ، ووصفته زوجه خديجة رضى الله عنها فى مستهل بعثته بقولها : والله لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل ، وتقرى الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق(٦) ،

(١) سورة الشرح آية ٤ .
(٢) سورة النساء آية ١١٣ .
(٣) سورة طه آية ١١٤ .
(٤) سورة البقرة آية ٢٦٩ .
(٥) سورة القلم آية ٤ .
(٦) صحيح البخارى كتاب الوحى باب كيف كان بدء الوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٥ ، وكتاب التعبير باب أول ما بدىء به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة ٩/٣٧ ، وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإيمان باب بدء الوحى =

[illegible]
لا يكون كذلك وقد بعث ليتمم مكارم الأخلاق ، فكان رحمة مهداة ، ونعمة مسداة ، وسراجا منيرا وبشيرا نذيرا ، وانتفع بخلقه الحسن العالم والجاهل ، والبهيمة والعاقل ، والصديق والعدو ، والقريب والبعيد .

١٣ — أن الكوثر هو المقام المحمود ؛ وهو الشفاعة العظمى ، وقد انتفعت أمته به فى الدنيا حيث حفظهم الله من عذاب الإبادة والاستئصال الذى هلكت به الأمم السابقة الكافرة ، وذلك ببركة وجود رسول الله بينهم وبركة الصالحين فى الأمة بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كما قال تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون »(١) .

وتنتفع به أمته فى الآخرة فشفاعته وبركته أمر لاريب فيه . ودعوته المستجابة خبأها وأرجأها ليشفع لأمته يوم القيامة ولأهل الكبائر منهم .

١٤ - أن المراد بالكوثر : السورة ذاتها لأنها سورة عظيمة الشأن جليلة القدر رغم قصرها ، وفيها الإخبار والإنشاء والبشارة والنذارة والعبودية والربوبية والأخلاق ، وأخبرت بأمور مغيبة ووقعت كما أخبرت ككثرة أتباعه وذريته وزوال فقره وتحقق غناه إلى أن ينحر ويتصدق بما يريد ، وانتكاس مبغضيه ومبغضى دينه وانبتارهم من الخير ، وفيها من البلاغة ما فيها على صغر حجمها ، ولذا عجزوا مجتمعين عن معارضتها ومداناتها بسورة من مثلها ، وأصبح واضحا لذى عينين أن وجه الإعجاز فى كل القرآن وسموه متقرر بها ، ولئن عجزوا عن معارضتها على صغرها فهم على معارضة غيرها أعجز .

وقال بعضهم إن المراد بالكوثر : الإيثار أى إيثار رسول الله غيره على نفسه بالمنفعة ، وقيل : المعجزات ، وقيل الفقه فى الدين . . . إلى غير ذلك من الأقوال .

= إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ١/٣٧٧ ، ومسند الإمام أحمد ٦/٢٣٣ ، وهو مروى عن عائشة رضى الله عنها ، ورواه غيرهم من المحدثين .

(١) سورة الأنفال الآية ٣٣ .

ومن ينظر فى الأقوال السابقة كلها يجد فى أكثرها تقاربا فى المعنى بل يجد بين كثير منها تلازما وتداخلا ، وكلها حقائق صادقة ومنطبقة على رسول الله فقد آتاه الله الخير الكثير الذى لا يحصى فى الدنيا والآخرة .

وكل واحد من العلماء السابقين من سلف وخلف قال قوله على سبيل التمثيل وذكر نوع من أنواع الخير الذى منحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ناظرا إلى المعنى اللغوى الواسع للفظ الكوثر وإلى واقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقصد أحد منهم حصر الكوثر فى رأيه وقصره على قوله، وإلا فإنه يكون مخطئا.

والقول الأول - وهو أن الكوثر اسم نهر فى الجنة أعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم - أصح الأقوال وأسدها وصدرها وفى مقدمتها - وكلها صحيحة سديدة مقبولة ، لتتابع الأخبار وكثرتها وتواترها فيه وورود وصفه فى السنة المطهرة ، فيكون من تفسير القرآن بالسنة وهى المرتبة الثانية من مراتب التفسير السديدة .

روى مسلم وأبو داود وغيرهما بأسانيدهم عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فى المسجد إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما ، قلنا : ما أضحكك يارسول الله ؟ قال : لقد أنزلت على آنفا سورة فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : فإنه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير ، هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته عدد النجوم فى السماء فيختلج العبد منهم فأقول : رب إنه من أمتى ، فيقول : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك(١) .

وروى الإمام أحمد بسنده عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء فإذا مسك أذفر ، قلت : ما هذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل.

(١) سبق تخريجه فى فضل السورة .

وروى نحوه البخارى وابن جرير وغيرهما ، وجاء فى الرواية أن ذلك كان فى ليلة الإسراء والمعراج مما يفيد أن السورة مكية ونزلت قبل الإسراء والمعراج(١) .

وروى أحمد وابن جرير بسنديهما عن أنس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فقال : هو نهر أعطانيه الله تعالى فى الجنة ترابه مسك ، أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر ، قال أبوبكر - وفى رواية أخرى أن القائل عمر - يارسول الله إنها لناعمة ، قال : آكلها أنعم منها(٢) .

وروى البخارى وأحمد بسنديهما عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الكوثر : هو الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر الراوى عن سعيد : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة ، فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه(٣).

والأحاديث الصحيحة المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والموقوفة على عائشة وابن عمر وابن عباس وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم متكاثرة مستفيضة يضيق المقام عن جمعها وذكرها كلها ، بل إن الحديث الموقوف يأخذ حكم الحديث المرفوع فى هذه المسألة ، فهو موقوف على الصحابى مرفوع حكما لكونه يتضمن أمورا سماعية لا مجال لعقل الصحابى فيها .

قال الحافظ ابن كثير عن الحديث المفيد أن الكوثر هو النهر .

قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث، وكذلك أحاديث الحوض اهـ(٢).

---

(١) مسند أحمد ٣/١١٥-٢٤٧، وصحيح البخارى كتاب التفسير تفسير سورة الكوثر ٦/٢١٩ ، وجامع البيان للطبرى ٣٠/٣٢١-٣٢٣ .

(٢) مسند أحمد ٣/٢٢١-٢٢٦، وجامع البيان للطبرى ٣٠/٣٢٤ .

(٣) صحيح البخارى الموضع السابق ومسند أحمد ٢/١١٢ .

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٥٨، وانظر الإتقان للسيوطى ٢/٢٠٤.

وممـا تقدم تعلم أن الأقوال السابقة فى تفسير الكوثر لاتَنَافِيَ ولا تعارضَ بينها وكلها صحيحة مقبولة مسلمة وحقيقة واقعة صادقة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصف بها كلها لكن أولاها بالقبول والتصدر والتقديم هو القول الأول .

نسأل الله الحى القيوم رب العرش العظيم أن يجعلنا من الواردين ذلك النهر النازلين ضيوفا على رسولنا الكريم لننعم بجواره ونشرب شربة هنيئة مريئة لانظمأ بعدها أبدا ، نحن وشيوخنا وكافة المسلمين .

وجاءت الجملة (إنا أعطيناك الكوثر) مؤكدة واسمية للدلالة على تحقق مضمونها ووقوعه وانتفاء الشك فيه ، فإن الخبر إذا أكد بإن يقارب القسم إن لم يجر مجراه ، وللإشعار بدوام العطاء والتفضل وزيادته .

وجاءت بصيغة الجمع لإفادة عظمة المعطى الواهب الغنى الكريم وهو الله ، وعظمة المعطىَ الموهوب له وهو سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعظمة العطية وكثرتها وكمالها وهو الشيء المسمى بالكوثر .

واختير لفظ الإعطاء دون الإيتاء لأن لفظ الإعطاء يفيد أن الله أعطى رسوله ما أعطاه من المناقب والمكارم والمنن على سبيل التفضل والإكرام والإمتنان والإنعام ، لاعلى سبيل الاستحقاق والإلزام ، وملكه ما أعطاه ولن يسترده منه أبدا ، وهذا مما يدل على سمو قدر رسول الله وارتفاع مكانته عند ربه .

أما لفظ الإيتاء فلايستفاد منه هذا المعنى .

وإن فسر الكوثر بالنبوة أو بالقرآن أو بالعلم والحكمة أو بالذكر الجميل أو بغير ذلك مما أعطاه الله رسوله فى حياته بمكة قبل نزول هذه السورة فإن صيغة (أعطيناك) تكون على أصلها وهو المضى .

وإن فسر الكوثر بالخيرات الكثيرة التى تفضل الله بها على رسوله فى الدنيا والآخرة وعلى رأسها وفى صدرها نهره العظيم فى الجنة فإن لفظ الكوثر يكون

شاملا للكل وتكون كلمة (أعطيناك) محتوية الماضي والحاضر والمستقبل ، لأن الله قضى له بذلك كله فى الأزل وخصه به وتكفله فيما بعد بالعناية والرعاية، وهيأ له أسباب السعادة والهناء فى الدنيا والآخرى ، وحباه بما شاء ، فالصيغة المذكورة شاملة لكل ما أعطيه فى مختلف الأزمنة أى ما أعطيه فى ماضيه قبل نزول السورة ، وفى حاضره بعد نزولها ، وفى مستقبله ومستقبل دينه وأمته ، فما قضى الله ووعد به لا يتخلف وإنما هو متحقق الوقوع ومتيقن ، بل هو كالواقع المعاين بالفعل ، وصدق الله العلى العظيم فى قوله : « وللآخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى »(١).

وقال تعالى : (إنا أعطيناك) ولم يقل : إنا أعطينا الرسول أو النبى لتشريف رسول الله بمؤانسته بمخاطبته ، ولضم ضمير المخاطبة إلى ضمير التكلم وتجاورهما إشعارا بقرب رسول الله وحظوته عند ربه ، وللدلالة على أن العطية تفضل وإحسان من الله بمحض اختياره ومشيئته ، وليست معللة بالرسالة أو النبوة(٢) .

وأل فى (الكوثر) توحى بكماله وجلاله وعظم قدره وجمعه كل الفضائل والمكارم .

فصل لربك وانحر :

وهذه الآية الكريمة متصلة بالآية السابقة عليها اتصالا وثيقا ، إذ الفاء فى قوله : (فصل) تفيد ترتب ما بعدها على ما قبلها ، فالارتباط بين الآيتين معنوى ولفظى .

أى إنا أعطيناك يا محمد نعما متكاثرة ، ومناقب متوافرة ، أعظم من الدنيا بحذافيرها ، وملك الدنيا وحيازتها كلها ليس شيئا بالنسبة لها ، فأدّ حق هذه النعم بشكر الله عليها بالعبادة البدنية والمالية التى نأمرك بها ، وأجعل عبادتك خالصة

(١) سورة الضحى آية ٤ – ٥ .

(٢) أنظر مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى ٣٢/١٢٢ .

وجهنا ، ولا تكن كالساهين عن العبادة وراسها المرائين فيها ، ولا تكن كالشحيح النفس واليد الذى يدع المحتاجين والملهوفين ويمنع عنهم الماعون .

واختلف المفسرون فى المراد بالصلاة والنحر هنا :

فقال أكثرهم وجمهورهم إن الآية عامة فى الصلاة والنحر ، أى تشمل كل صلاة وكل نحر أى ذبح ، فالله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمواظبة عليها وبالذبح والتصدق خالصا له دون ما سواه من الأنداد والآلهة لأن المشركين بمكة كانوا يسجدون للأصنام والأوثان ويتخذونها آلهة من دون الله ويعبدون غيره ، ويذبحون باسمها لا باسم الله ، ويسلك غيرهم فى البلاد الأخرى نحو مسلكهم ، فأمره الله بمخالفتهم بجعل صلاته وذبحه لربه وباسمه وحده ، ولذا قال تعالى له : « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »(١) ، « قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين »(٢) ، « قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ، وأمرت لأن أكون أول المسلمين »(٣) ، « فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين . . . . ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق »(٤) .

وهذا القول هو الأولى فى تفسير الآية والأليق بسياقها والأوفق بسياقها والمفهوم من عمومها ولذا قدمته على غيره ، وقال به من أكابر المفسرين وفطاحل العلماء الإمام ابن جرير الطبرى وأبو حيان الأندلسى والشوكانى وغيرهم(٥) .

---

(١) سورة الأنعام الآية ١٦٢ - ١٦٣ .
(٢) سورة الأنعام الآية ١٤ . (٣) سورة الزمر الآية ١١-١٢ .
(٤) سورة الأنعام ١١٨ - ١٢١ .
(٥) أنظر جامع البيان للطبرى ٣٠/٣٢٨ ، والبحر المحيط لأبى حيان ٨/٥٢٠ ، وفتح القدير للشوكانى ٥/٥٠٣ .

١ - فروى عن عبدالله بن عباس رضى الله تعالى عنهما ومجاهد بن جبر رحمه الله أن المراد بالصلاة : الصلاة المكتوبة ، وبالنحر : نحر البُدْن والذبح يوم الأضحى أى إصابة نحرها وذبحها بالآلة الحادة .

٢ - وروى عن سعيد بن جبير وغيره رحمهم الله أن المراد : صلاة الفجر بالمزدلفة ، ونحر البدن بمنى .

٣ - وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وعطاء بن أبى رباح والحسن البصرى والربيع بن أنس أن المراد : صلاة عيد الأضحى ، ونحر الأضحية ، وهما عبادتان تقعان فى يوم عيد الأضحى المبارك .

٤ - وروى عن سعيد بن جبير أن الآية نزلت فى يوم الحديبية لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج فى ذى القعدة عن المدينة قاصدا مكة معتمرا ومعه مجموعة كبيرة من أصحابه ، فحاصرهم أهل مكة ومنعوهم من دخولها وصدوهم عن البيت الحرام ، فأمره الله أن يصلى وينحر البدن ويتحلل من إحرامه وينصرف ففعل ، وأمر رسول الله أصحابه بذلك ففعلوا مثله ومعه ، ثم انصرفوا جميعا بعد أن صالح أهل مكة وكتب معهم معاهدة الصلح .

ولا يخفاك أن هذه الأقوال إن قصرت الآية على واحـــد منها يكون مرجوحا لأن الآية أعم منها وأشمل وأوسع ، ولأنها تفيد أن الآية مدنية مع أن المشهور والأصح أن السورة كلها مكية . ومعروف أن القرآن الكريم يوجد فيه ماهو مكى فى صورة المدنى . وماهو مدنى فى صورة المكى .

٥ - وقيل إن المراد بالصلاة : الشكر ، أى اشكر الله على نعمة إعطائك الكوثر .

٦ - وقيل إن المراد بها : الدعاء ، أى ادع الله وسله تعط حتى ترضى .

٧ - وقيل إن المراد بالصلاة : الصلاة المشروعة ، أما النحر ففيه خلاف ؛ والناظر فى الأقوال الواردة فيـــه يجدها تدور حول الصلاة وتتعلق بعمل

يختص بها يكون قبل الدخول فيها ؛ أو بعد الدخول فيها والتلبس بها ، أو بعد الفراغ والانتهاء منها :

١ - فيرى بعضهم أن معنى : (صل لربك وانحر) : صل واقطع علائقك النفسانية عن لذات الدنيا وطيباتها العاجلة الفانية ، وفرغ بالك وهمك ، وأقبل على الله وحده بهمة ونشاط وبكليتك بدءا من افتتاحك للصلاة إلى انتهائك منها.

٢ - ويرى الفراء وابن الأعرابي أن المعنى ، صل واستقبل القبلة بنحرك وصدرك ، ولا تلتفت يمينا ولا شمالا ، وهو مأخوذ من النحر بمعنى التقابل .

وهذا المعنى لغوى إذ قال بعض العرب : منازلهم تتناحر أى تتقابل ، ويقال : هذه الدار تناحر تلك الدار أى تقابلها وتواجهها ، وقال أحد الشعراء الأسديين :

أبا حكم هل أنت عم مجالد وسيد أهل الأبطح المتناحر

فالكعبة لما كانت بيت الله الحرام وقبلة الدعاء والصلاة وجب على العبد أن يتوجه فى دعائه وصلاته إليها بقلبه وصدره ، فصار بين الكعبة وبين صدر الإنسان فى الدعاء والصلاة تناحر أى تسامت وتقابل .

٣ — ويرى على بن أبى طالب رضى الله عنه أن المعنى :

صل وارفع يديك إلى نحرك عند افتتاحك الصلاة ودخولك فيها بالتكبير وعند كل تكبير ، وهذا الرأى المنسوب إلى على مأخوذ من حديث مروى عند بعض المحدثين :

أخرج ابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى سننه وغيرهم بأسانيدهم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه قال : لما نزلت هذه السورة على النبى صلى الله عليه وسلم :«إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليهما السلام : ماهذه النحيرة التى أمرنى بها ربى ؟ فقال : إنها ليست بنحيرة ولكن يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن

ترفع يديك إذا كبرت ، وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، فإنها
صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم فى السماوات السبع ، وإن لكل شىء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : رفع اليدين من الاستكانة التى قال الله : فما استكانوا لربهم ومايتضرعون »(١).

وهذا الحديث المرفوع من طريق مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، قال الحافظ ابن كثير عنه : إنه منكر جدا وغريب جدا . ا هـ . وذكره الشوكانى فى كتابه الفوائد المجموعة وقال : رواه ابن حيان عن على مرفوعا ، وهو موضوع لايساوى شيئا ، قال السيوطى : قد أخرجه الحاكم فى المستدرك والبيهقى ، وقال ابن حجر : إسناده ضعيف جدا . ا هـ .

ورجعت إلى المستدرك للحاكم النيسابورى فوجدته سكت عنه ولم يحكم عليه بشىء ، لكن الحافظ الذهبى بين وهنه وشدة ضعفه فقال : إسرائيل بن حاتم - الراوى عن مقاتل بن حيان - صاحب عجائب لايعتمد عليه والأصبغ - بن نباتة - شيعى متروك عند النسائى ا هـ(٢) .

٤ - ويروى عن على ابن أبى طالب وعامر الشعبى أن المعنى : صل وضع يدك اليمنى على وسط ساعدك اليسرى ، واجعلهما على نحرك وصدرك ، ففيه أمارة الخشوع لله والخضوع .

٥ - ويرى عطاء بن أبى رباح والضحاك بن مزاحم أن المعنى : صل واستو

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٦ .

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص ٥٥٨ والفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة للشوكانى ٣٠ ، والمستدرك للحاكم ج ٢ ص ٥٣٨ وذكر الطبرسى فى مجمع البيان ج ٩ ص ٨٣٧ أن الثعلبى والواحدى أورداه فى تفسيريهما ، ورواه البيهقى فى السنن كتاب الصلاة ٢/٧٥ .

بين السجدتين جالسا حتى يبـــدو نحرك وصدرك ، وفى ذلك دلالة على الطمأنينة والسكينة .

٦ ـ ويرى سليمان التيمى والضحاك بن مزاحم أن المعنى : صل وارفع يديك فى الدعاء عقب الصلاة إلى نحرك .

قال العلامة الواحدى : وأصل هـــذه الأقوال كلها من النحر الذى هو الصدر ، يقال لمذبح البعير : النحر ، لأن منحره فى صدره حيث يبدو الحلقوم من أعلى الصدر اهـ[1] .

وألاحظ على الأقوال السابقة فى معنى الصلاة والنحر أنها مطلوبة ، وأن لا تعارض بينها ولا تنافى لأن كلا منها تفسير للعام ببعض أفراده التى تندرج تحت عمومه ، ومن ثم تغاير الرأى واختلف النقل عن بعضهم كابن عباس وعلى ابن أبى طالب وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ، وفى بعض الأقوال تفسير باللازم أو بالشرط ، إذ الصلاة فيها دعاء وفيها شكر ، واستقبال القبلة شرط لصحة الصلاة ، ورفع اليدين عند التكبير ووضع اليمين على الشمال فى الصلاة هيئتان من هيآتها .

فالأولى إبقاء الآية على عمومها فتكون فى مطلق الصلاة ومطلق النحر ، وكل الأقوال السابقة داخلة فيها ومندرجة تحتها ، ولا يصح قصر الصلاة على صلاة معينة ، ولا قصر النحر على معنى معين وجعله هو المراد من الآية دون غيره لما فى ذلك من التكلف ومخالفة المتبادر من الآية ، إذ الآية أعم وأوسع من ذلك ، فما وسّعه الرب الكريم لا يصح للعبد أن يضيقه ، كما أنه لا يصح قصر النحر على شىء معين يتعلق بالصلاة إذ هو معطوف عليها ولا يصح عطف

---

(١) أنظر مفاتيح الغيب للفخر الرازى ٣٢/١٣٠ والنحر والمنحر : موضع القلادة من الصدر كما جاء فى المعاجم اللغوية كالصحاح للجوهرى ص ٨٢٤ ، والمصباح المنير للفيومى ص ٥٩٥ .

الأقوال - لو فسرت الآية بأحدها دون غيره - :

إنها غريبة جدا اهـ (١).

وأمره الله بالصلاة ولم يأمره بالشكر مع أن المتقدم على الصلاة نعمة جليلة يناسبها الشكر لأن الصلاة رأس العبادات وأهمها وأشرفها وأفضلها ، وتشمل أركان الشكر وزيادة : إذ فيها إقبال القلب على الله ورضاه وتصديقه بما شرع ، وثناء عليه بما هو أهـله ، وفيها ثناء باللسان ولهج بالدعاء والتضرع ، وفيها امتثال لما أمر الله عز وجل وتواضع له بأدائها بأركانها وسننها وهيآتها ؛ أى امتثال يتمثل فى إقامتها .

هذا إلى جانب مافيها من فوائد نفسية وصحية واجتماعية وثواب جزيل ومايتقدمها من طهر ووضوء ونظافة المظهر والمخبر .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قبل نزول هذه السورة عارفا ربه شاكرا لأنعمه ، فلو أمر بالشكر هنا لأوهم الأمر به أنه ما كان شاكرا له مثنيا عليه من قبل .

وإن الأمر بالصلاة والنحر ليس أمرا بشىء جديد وغريب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وإنما هو أمر بالمداومة والمواظبة عليهما مع الإخلاص لربه وابتغاء وجهه فى كل منهما خلافا لما كان يفعله الكفرة الفجرة .

وذكر الربوبية دون الإلهية أى قال (لربك) ولم يقل لله لأن الربوبية هنا أنسب وأبلغ - وكل لفظ فى القرآن له مقامه وموضوع فى مكانه الأنسب ولا يسد غيره مسده أبدا - فإفاضة النعم المتكاثرة على رسول الله صلى الله عليه

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/٥٥٩ - وحذف مفعول الفعلين لإفادة العموم .

فالعطاء والمنع ونحوهما من صفات الربوبية .

ثم إن في ذكرها مؤانسة وملاطفة ووعدا جميلا من ربه بأن تعهده بالتربية وكلاءته بالعناية والرعاية مستمر ولا يفتر ، وأن الرب لن يودعه ولن يتركه .

وفى ذكرها كذلك تعريض بالكفار وغمز لهم حيث إن صلاتهم كانت عند البيت مكاء وتصدية ، وإن نحرهم كان لغير الله وعلى غير اسمه تعالى .

وفى ذكر اللام الجارة في قوله (لربك) تنويه بحتمية الإخلاص فى الصلاة والنحر وضرورته فى العبادة والأعمال الصالحة بأنواعها حتى لا يحبط العمل ، إذ الإخلاص فى العبادة والعمل دلالة على طاعة القلب ورضاه ، وهو بمثابة الروح فى الجسد ، ولا قيمة للجسد بدون الروح الحال فيه ، ومن ثم قال تعالى : «إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى»(١) ، وقال جل شأنه : «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة»(٢) ، وغيرهما من الآيات المطالبة بالإخلاص فى العمل الداعية على سبيل الإلزام إلى إحسانه وإتقانه .

وفى الآيتين الكريمتين التفات من التكلم إلى الغيبة لأنه قال : «إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك» ، والاسم الظاهر وهو (الرب) من قبيل الغيبة ، وكان ظاهر السياق أن يقول : «فصل لنا» لكنه التفت إلى الغيبة ، والالتفات وجه عظيم من وجوه البلاغة العربية ، فيه شد انتباه السامع وإيقاظه ، وتجديد نشاطه ، والترويح عن نفسه وأذنه ، والتشويق إلى الكلام والمعانى حتى لا يمل ولا يسأم ، وفى ذكر الربوبية تعظيم لها والنعم ، وتربية للمهابة فى القلب ، وتصريح بأن الذى أعطاه وأغدق عليه النعم العظيمة فى الدنيا والآخرة هو ربه وحده لا غيره ، وهو الرب المستحق لأن تكون الصلاة والنحر متوجهين إليه وحده ، لا إلى غيره لا استقلالا ولا إشتراكا .

(١) سورة طه الآية ١٤ . (٢) سورة البينة الآية ٥ .

وقال : « وانحر » ولم يقل : « وضحّ » لأن الصلاة لما كانت أعظم العبادات البدنية بل أعظم العبادات على الإطلاق وأجلها قرن بها أعظم أنواع الضحايا والذبائح وهو الإبل إذ النحر يستعمل غالبا في نحر الإبل ، والإبل خيار أموال العرب وأحسنها .

ثم إن لفظ النحر واسع المعنى ، وفى تفسيره أقوال ومعان كثيرة سبق ذكرها ، أما لفظ التضحية فضيق المعنى ولا يطلق إلا على ذبح الأضحية ، ففى ذكر النحر احتواء لمعان كثيرة ، ومجال للعقل والتفكر ومدعاة للنظر والتأمل بخلاف التضحية ، والله أعلم بأسرار كتابه .

وحذف الظرف ، أى الجار والمجرور من الفعل الثانى لدلالة الأول عليه واكتفاء به ومراعاة للفاصلة لأن تقدير الكلام : نصل لربك وانحر لربك .

إن شانئك هـو الأبتر :

وهذه الآية الكريمة مرتبطة بما قبلها ارتباطا قويا ؛ فالله عز وجل لما بشر رسوله صلى الله عليه وسلم بالنعم العظيمة ، وأفاض عليه بها إكراما وإنعاما وتفضلا ، وأمره بأكبر عبادة بدنية ومالية وبالإخلاص التام فى العبادة وجعلها لأجله سبحانه وابتغاء وجهه ، أخبر أنه معه وناصره على عدوه ، وما عليه إلا الاشتغال بالعبادة وتبليغ الدعوة ، ولا يلتفت إلى عـدوه ومبغضه وبذاءاته ومهاتراته ، وهذيانه وحماقاته ، لأنه لن يضيره بشىء ، فهو المنصور ، وعدوه هو المقهور المبتور ، بل الأبتر من كل خير ونعمة ، وصدق الله العظيم فى قوله: « ... وما يضرونك من شىء »(1) .

والشانىء : هو المبغض ، والشنء والشنآن : العداوة والبغض ، من شنىء بكسر النون من باب : تعب : أى أبغض ، ومنـه قوله تعالى : « ولا يجرمنكم

---

(1) سورة النساء الآية ١١٣ .

شنآن قوم على ألا تعدلوا »(١) : أى لايحملنكم بغضهم على عدم العدل معهم، فإن حملكم على عدم العدل معهم ولم تعدلوا وقعتم فى جرم عظيم .

ومعنى البتر فى اللغة : استئصال القطع ، وهو من باب : قتل ، أما فعله اللازم فهو من باب : تعب ، يقال : بتر الشىء يبتر بترا أى قطع ، ويقال : بترته أبتره بترا أى قطعته ، ويقال : انبتر فلان من قومه أى انقطع منهم ، ويقال : بتر فلان بكسر التاء أى صار أبتر .

وهى كلمة تقال للذى لا عقب ولا ولد له ، أو للذى لا أولاد ذكور له ، وتقال للذى انقطع عنه الخير ، وتقال للحيوان المقطوع الذنب ـ الذيل ـ ومنه قولهم : الحمار الأبتر أى الذى لا ذنب له ، والضحية المبتورة المنهى عنها أى المقطوعة الذنب ، ووصفت خطبة زياد بأنها البتراء لأنه لم يبدأها ويستهلها بالديباجة الطيبة المباركة وهى الحمد لله والثناء عليه بما يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم . وكل كلام أو عمل ذى بال لا يتصدره الثناء على الله والاستعانة به يكون أبتر ، أخذا من قوله صلى الله عليه وسلم : كل أمر أو عمل ذى بال لا يفتتح بذكر الله عز وجل فهو أبتر أو قال أقطع(١) .

ويقال للسيف القاطع : الباتر ، ويقال للرجل الذى يقطع رحمه ولا يصلها : رجل أباتر بضم الهمزة ، وسميت طائفة من الزيدية بالبترية أو الأبترية نسبة إلى زعيمهم المغيرة بن سعد الملقب بالأبتر ويوصف بأنه كثير النوى ت ١٦٩ هـ . والزيدية فرقة من الشيعة ينسبون إلى الإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب ويتمركزون باليمن وتوفى الإمام زيد عام ١٢١هـ .

---

(١) سورة المائدة الآية ٨ وانظر فيها آية رقم ٢ .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد ٢/٣٥٩ ، والجامع الصغير للسيوطى ٢/٧٧ وبهامشه كنوز الحقائق فى حديث الخلائق للمناوى ، وهو مروى عن أبى هريرة رضى الله عنه .

واختلف المفسرون فى المعنى بالآية وتعيينه :

فقيل إنه : العاص بن وائل الذى كان يعير رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا عقب له ، وبالقلة والذلة ؛ وقيل إنه : عقبة بن أبى معيط ؛ وقيل إنه : أبو جهل فرعون هذه الأمة ؛ وقيل إنه : عمه أبو لهب ، وقيل : طائفة من قريش .

وهذه الأقوال كلها صحيحة مقبولة لأن كلا من أهل مكة الكفرة كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغضه ويبغض ما جاء به من عند الله تعالى ، ومن لم يتلبس منهم بقول أو بفعل فيه إيذاء له كان راضيا مغتبطا بقول من قال فيه ، وبفعل من فعل معه من ألوان الاضطهاد والإيذاء والاستخفاف والازدراء والاستهزاء ، ولذا فإن الآية عامة وتشملهم جميعا وإن كانت نازلة فى شخص بعينه ، ويدخل فيها دخولا أوليا ، وتشمل كل من يبغض شخص رسول الله أو يبغض دينه وما جاء به من عند الله ويعطل العمل به ببغض وكراهية وحقد ونفس مريضة فى أى زمان أو مكان إلى آخر الزمان .

وجاءت الجملة إسمية للدلالة على دوام انبتار شانئه وانقطاعه من الخير .

وجاءت مؤكدة لزيادة تطمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيت قلبه ، ولإرهاب عدوه ، وزجره ونهره ، فإن التوكيد بإن يقارب القسم إن لم يكن مثله .

وجاءت بصيغة الحصر وباسم التفضيل المقرون بأل للمبالغة فى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والرد على عدوه وخصمه ، ورد كيده إلى نحره ، وبغضه له إلى صدره ، والإشعار بتمام انبتاره وأحقيته به من غيره ، فلا أبتر ولا أقطع من الخير ولا أسوأ حظاً الانبتار سوى عدوه وخصمه .

واكتفى الله بوصف عدو رسوله بأنه مجرد شانىء للدلالة على حقارته وعجزه عن إيذائه بالفعل والنيل منه وإيقاف مد دعوته وحجب أشعتها ونورها ، وشذاها وعبيرها ، فكل الذى يفعله مجرد شنآن وبغض ؛ ومن

يكون على هذه الشاكلة يحترق قلبه غيظا وحسدا ، وحنقا وكمدا ، ويحيا مدة حياته فى محن مستمرة ، وعذاب نفسى أليم دائم .

وفيه كذلك تنويه بعظم مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعة منزلته عند ربه ، فإذا كان الانبتار من الخير يقع ويتحقق للشانىء المبغض له فما بالنا بمن يقدم على إيذائه بالفعل؟ إنه يعذب عذابا شديدا وألما ومهينا لا يقادر قدره ولا يعرف كنهه .

وحذف الظرف - أى الجار والمجرور - المتعلق بالأبتر لمراعاة الفاصلة ولإفادة العموم والشمول ، ولتذهب النفس فى تعيينه وتحديده كل مذهب ، ويتفكر العقل فيه ، فبعض الكفار وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت ابنه بأنه لا عقب له ، وكرروا ذلك وعيروه به وتداولوه على ألسنتهم ، فرد الله عليهم بأن نسله صلى الله عليه وسلم باق ، وقد تحقق الوعد بحمد الله ، فنسله من فاطمة الزهراء باق وينمو ويزداد على مر الزمان ، وكل المؤمنين فى أرجاء الأرض وشتى بقاعها وتعاقب الزمان أولاده وأحبابه ، فهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم ، أما عدوه وخصمه فهو الأبتر المنقطع من النسل المنسى الذكر .

ووصفه بعضهم بأنه سيموت ويستريحون منه ولا ناصر له ولا معين ، وأن عمر رسالته قصير ، وسينقطع عن المقصود قبل بلوغه ، وتناقلوا ذلك على شفاههم وروجوا له ؛ فغار الله له ورد عليهم بأن على رسوله البلاغ المبين وأنه وليه وناصره ؛ ومقويه ومؤازره ؛ ومعزه ؛ وأن شانئه ومبغضه هو الأبتر المقطوع من الولاية والنصرة ؛ المغلوب المقهور ؛ الأقل الأذل ؛ المهان الممتهن .

فالأولى بقاء الانبتار لخصمه على عمومه وعدم تعيينه بشىء أخذا من عموم اللفظ وحذف الظرف ؛ أى خصمه أبتر منقطع عن خيرى الدنيا والآخرة .

ونلاحظ أن ختام السورة الكريمة الحكيمة متعلق بافتتاحها ؛ فالله بشر

رسوله صلى الله عليه وسلم فى صدرها بإعطائه الخير الكثير وإغداق النعم الجمة عليه ، وبشره فى عجزها بنصره على عدوه وخذلان عدوه وإخزائه وانقطاعه من الخير ؛ فصار فى صدر السورة بشارة . وفى عجزها بشارة وهو مايعرف فى البلاغة بتناسب المطلع والمقطع ، أو رد العجز على الصدر .

وبين الختام والافتتاح تناسب آخر وهو : أن الله أخبر فى مستهل السورة أنه أعطى حبيبه صلى الله عليه وسلم الكوثر ، وهو لفظ جامع لكل الفضائل والمناقب ، وأخبر فى مختتمها أنه سلب الخير عن خصمه وصيره أبتر ، وهو لفظ جامع لكل المساوىء لحذف متعلقه ، فصار بين افتتاح السورة وختامها مطابقة لطيفة .

فيالها من سورة عظيمة كريمة ، وياله من قرآن علىّ حكيم ، منزل من لدن حكيم خبير .

المعنى العام :

أذعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ربه فصدع بالدعوة ودعا أهل مكة المشركين إلى الإسلام فلم ينصاعوا له ولم يذعنوا ، وحاربوه وآذوه ، ورموه بكل نقيصة ، واستمروا فى إيذائه وإضطهاده ، واستمرأوا ذلك ، وكان صابرا محتسبا داعيا لهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

ومن ألوان الإيذاءات والنقائص تعييرهم له بموت أولاده الذكور وبقاء الإناث ، ووصفه بالضعف والذلة والقلة ، وقولهم عنه إنه أبتر ، فغاظه ذلك وآلمه . فأنزل الله تعالى عليه هذه السورة الكريمة يسليه ويسرى عنه ويطيب خاطره بها ، ويخبره أنه أعطاه تفضلا منه وإكراما له خيرا كثيرا لا يحصى ولا يستقصى ، منه ماهو فى الدنيا ، ومنه ماهو فى الآخرة ، وإن هذه البشارة الكريمة بهذا الفضل العظيم تستوجب منه شكره تعالى على آلائه وأياديه ، ولذا أعقب إعطاءه الكوثر بالأمر بالصلاة والنحر شريطة الإخلاص فيهما

وابتغاء وجه الله بهما ، وهما عبادتان كبريان ، فكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصلاة ويستشعر فيها قرة عينه ، وانثلاج صدره ، وارتياح قلبه ، ويتلذذ بكثرة الصلاة حتى تورمت قدماه وتقرحت ، فكان عبدا شكورا ، وأواها صبورا ، وكان يكثر من الذبح والتصدق ابتغاء وجه الله وشكرا له على ما أولاه من الخيرات والكرامات ، فنحر فى الأعياد وغيرها ، ونحر كثيرا فى حجة الوداع وتصدق ، وبشره بانتشار دينه ودوامه ، وارتفاع شأنه ومقامه وبقاء ذكره والثناء عليه ، فذكره مرفوع على المنابر والمنائر ، جار على لسان كل عالم وذاكر ، مقرون اسمه باسم ربه إلى آخر الزمان ، وله فى الآخرة ما لا يمكن وصفه ، وكل هذه البشارات وسائر الخيرات يستفيد منها وينتفع بها أحبابه وأتباعه من المسلمين فى الدنيا والآخرة .

أما أعداؤه إلى آخر الزمان فهم مغلوبون مقهورون مخذولون مبتورون من رحمة الله ومن كل خير ، ولا يذكر اسم أحدهم إلا مقرونا باللعن والذم والبغض ، لأن من عاداه شخصيا أو عادى دينه فقد عادى الله تعالى ، ولذا لما عابوه وأهانوه بأنه أبتر تولى الله بنفسه الرد عليهم دون واسطة فقال « إن شانئك هو الأبتر » ، وكذلك تكفل بالرد عليهم حين قذفوه بالجنون والسحر والشعر والكهانة والافتراء وغيرها من الصفات التى رموه بها وتخبطوا فيها وتهاووا بسببها ، وهو برىء منها ، وفيها مكابرة ومغالطة منهم للحق والواقع وركوب متن الشطط واللجاج والعناد ، والضلال والفساد .

فلله در هذه السورة ما أحكمها وأعظمها ، وما أجلها وأجملها .

الوجوه البلاغية فى السورة :

وهذه السورة الكريمة تفيض على صغرها وقصر حجمها ووجازتها بوجوه بلاغية ، منها :

١ - مجيء الجملة الأولى اسمية « إنا أعطيناك » وهذا يفيد دوام العطاء واستمراره .

٢ - تأكيدها بإن ، وهو يفيد تقوية المعنى الموعود به وتحقيقه .

٣ - مجيئها بصيغة الجمع « إنا أعطيناك » وهذا يفيد التعظيم والتكريم .

٤ - التعبير بصيغة الماضي « أعطيناك » وهو يفيد تحقق وقوع ماوعده وحتميته لأن وعد الله لايتخلف .

٥ - مشافهة رسول الله ومخاطبته لتشريفه وإيناسه .

٦ - مجيء الكثرة بلفظ « الكوثر » للدلالة على المبالغة فى العطاء ووفرته كما وكيفا .

٧ - الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، ومر بيان فائدته .

٨ - الإضافة فى قوله « لربك » وهى للتشريف والتكريم والتقدير والتعظيم .

٩ - الاكتفاء بالأول عن الثانى فى قوله « فصل لربك وانحر » إذ تقديره : « فصل لربك وانحر لربك » مراعاة للفاصلة ودعوة إلى التوحيد الكامل والإخلاص التام .

١٠ - مجيء الجملة الأخيرة إسمية « إن شانئك هو الأبتر » لإفادة دوام وتمام الخذلان والانبتار من الرحمة والخير .

١١ - مجيئها مؤكدة بإن لإفادة تحقق مضمونها ووقوع هذا الوعيد الشديد .

١٢ - الحصر المستفاد من جملة « إن شانئك هو الأبتر » وَقَوَّى الإسنادَ والحصر ضميرُ الفصل ، فلا أبتر ولا أخزى إلا شانؤه ومبغضه .

١٣ - الاستعارة فى لفظ « الأبتر » حيث شبه بقاء الذكر الحسن واستمرار الثناء الجميل بذنَب الحيوان بجامع الانتفاع والاتباع والزينة فى كل ، وشبه الحرمان من ذلك ببتر الذنَب وقطعه بجامع الحرمان مما تقدم ، وهى استعارة

تصريحية تبعية لأنه صرح فيها بذكر المشبه به. وجاءت في مشتق وهو اسم التفضيل.

١٤ - المطابقة بين أول السورة وآخرها، ورد عجزها إلى صـــدرها، ومر بيانه.

١٥ - اتحاد الفاصلة، وقوة جرس الألفاظ وتناسق أسلوب السورة وتشابك كلماتها ومعانيها وتناغم موسيقاها وتكاثر إيحاءاتها ومر بسط الكلام والتوجيه لهذه الوجوه.

فهذه السورة جمعت كثيرا من فنون البلاغة، وتحدى الله بها الإنس والجن مجتمعين باعتبارها أقصر سورة، ولا يزال التحدي بها قائما؛ فعجزوا عن معارضتها؛ ولم يتجاسر أحد على ذلك إلا مسيلمة الكذاب الذي ورد عنه أنه قال:

«إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك وجاهر، إن مبغضك رجل كافر».

وظن الأحمق المأفون أنه بما قال عارض السورة الكريمة، وهو ظن جاهل خائب الحال والمآل مخبول مخذول لأنه اقتبس كثيرا من الألفاظ كما اقتبس الترتيب من السورة الكريمة، ولأن كلامه يزيد في حروفه عن حروف السورة، وهو ركيك مفكك خال من النكات العاطرة، واللطائف الباهرة، والإيحاءات والمعاني المتوافرة، الموجودة في السورة الكريمة، ولأن كلامه متهافت في الذوق والبلاغة والرصانة والفصاحة، فلا يصح أن يوصف ماقاله بالمعارضة ولا بالمداناة والمقاربة، وشتان مابين كلامه السخيف وكلام الله الشريف.

فقه السورة والمستفاد من تفسيرها:

ويستفاد من هذه السورة ومن تفسيرها معان كثيرة منها:

١ - أنها سورة مكية على القول الراجح.

٢ ـ شدة عداوة المشركين وأضرابهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولدينه وأتباعه .

٣ ـ غيرة الله وانتصاره لرسوله ونفاحه ودفاعه عنه بنفسه .

٤ ـ تبشيره بإعطائه الخير الكثير البالغ فى الكثرة والوصف العظيم حدا بعيدا لا يعلمه إلا الله ، وعلى رأسه وفى صدره نهره العظيم فى الجنة .

٥ ـ شكر النعمة واجب على الفور ولا يليق معها التوانى والتراخى ، وهو ما يفهم من ذكر الفاء فى قوله « فصل » عقب الإعطاء .

٦ ـ الإخلاص وطاعة القلب شرط فى نجاح العمل الصالح وقبوله ، وبدونه لا قيمة للعمل ، بل يكون حبطا .

٧ ـ معرفة الله والطاعة القلبية لا تغنى عن طاعة الجوارح ، ولا تكفى فى تحقيق السعادة والنجاة والفلاح ، بل لابد من التصديق والتطبيق ، ومن ثم أمر رسوله بالصلاة والنحر .

٨ ـ الصلاة باقية على عمومها ، والنحر باق على عمومه ، ويتصدره ويدخل فيه دخولا أوليا نحر البدن .

٩ ـ اندراج صلاة عيد الأضحى ونحر الأضحية تحت عموم الأمرين ، ولا يستفاد من الآية الكريمة تقديم الصلاة على النحر فى يوم العيد على القول الراجح ، إذ الواو لمطلق الجمع ولا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا ، وإنما استفيد ذلك من السنة المطهرة حيث قال رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم :

« إن أول ما نبدأ به فى يومنا هذا أن نصلى ثم نرجع فننحر ... » الحديث(١).

---

(١) أخرجه الشيخان فى صحيحيهما كما أخرجه غيرهما من أهل الحديث ، وهو مروى عن البراء بن عازب رضى الله عنه وروى نحوه عن أبى سعيد الخدرى وجابر بن عبد الله وغيرهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم : انظر =

... من تفسير القرآن بالسنة إذ فيها بيان لما يبـــدأ به في ذلك اليوم المبارك .

١٠ ـ استدلال بعضهم بظاهر الأمر على وجوب الأضحية على رسول الله خاصة وبقوله صلى الله عليه وسلم : « ثلاث هن علىّ فريضة وهن لكم تطوع : الوتر ، وركعتا الضحى ، والأضحى »(١) .

١١ ـ بشارة رسول الله بنصره ونصر دينه وبقاء ذكره العطر وبقاء الدين الذى دعا إليه ، وكثرة ذريته وأتباعه إلى آخر الدهر .

١٢ ـ بشارته بتدمير أعدائه وأعداء دينه وتتبيرهم وانبتارهم من الخير في كل زمان ومكان .

١٣ ـ انتفاع المؤمنين بالخير الذى أوتيه صلى الله عليه وسلم وتنعمهم فيه في الدنيا والآخرة ، وهو حريص على نفع أمته رءوف رحيم بالّبهم .

١٤ ـ إعجاز هذه السورة الحكيمة ، بل إعجاز كل آية فيها ـ حيث أخبرت بأمور مغيبة ووقعت كما أخبرت ، هـــذا إلى جانب ما فيها من لطائف وبدائع وتناســـق وتعانق في الألفاظ والمعاني ، وبثبوت إعجازها على قصرها يتقرر

= صحيح البخارى كتاب العيدين باب الخطبة بعد العيد ٢/٢٣ ، وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب الأضاحى باب وقتها ٤/٦٣٠ .

(١) أخرجه أحمـــد في المسند ١/٢٣١ ، والحاكم في المستدرك ١/٣٠٠ ولم يحكم عليه الحاكم بشيء ، وقال الذهبي معقبا : غريب منكر ، ويحيى ـ أحد الرواة ـ ضعفه النسائى والدارقطنى اهـ ، وقال ابن الجوزى في كتابه التنقيح : وروى من طرق أخرى ، وهو ضعيف على كل حال اهـ . انظر نصب الراية للزيلعى ٤/٢٦٠ وهو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وفي رواية أخرى عند أحمد والحاكم : « وركعتا الفجر » بدلا من : « والأضحى » .

والظاهر أنها غير واجبة عليه صلى الله عليه وسلم لعدم صراحة الآية ولضعف الرواية في ذلك ، وكونه واظب عليها لا يستنبط منه وجوبها بل يستفاد منه شدة استحبابها .

عظمى ، تضم معجزات شتى .

نسأل الله العلي القدير أن يرزقنا الاهتداء بالقرآن وبشرحه وهو السنة ، وأن يوفقنا لصالح العمل والإخلاص فيه ، ويكتب لنا السداد والقبول ، ويجعلنا من أحباب رسوله بحق وأتباعه بصدق ، ومن المنضوين تحت لوائه المعقود ، ومن الشاربين من حوضه المورود ، الثابتين على الصراط يوم تزل الأقدام ، وتحار الأفهام ، المتمتعين بالنظر إلى وجهه الكريم ، بفضله ومنه وبحق اسمه الأعظم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين آمين .

أهم المراجع

رجعت فى هذا البحث إلى مراجع ومصادر كثيرة يدرك كثرتها القارىء الكريم وذكرتها كلها فى داخل البحث بأسمائها معزوة إلى أصحابها، ومن هذه المراجع بعد: «القرآن الكريم»:

١ - أسباب نزول القرآن لأبى الحسن الواحدى النيسابورى ت ٤٦٨ هـ، مطبعة دار القبلة للثقافة الإسلامية بالرياض وجدة. الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م بتحقيق الأستاذ السيد صقر.

٢ - البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ت ٧٤٥ هـ، طبعة دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٣ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير القرشى ت ٧٧٤هـ مطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة.

٤ - جامع البيان للطبرى ابن جرير ت ٣١٠ هـ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م.

٥ - روح المعانى للألوسى البغدادى ت ١٢٧٠ هـ مطبعة دار الفكر بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٦ - سنن الترمذى ت ٢٧٩هـ مطبعة المدنى ومطبعة الفجالة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧ - الصحاح للجوهرى ت ٣٩٣هـ، مطابع دار الكتاب العربى الطبعة الأولى ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م.

٨ - صحيح البخارى ت ٢٥٦ هـ، مطبعة دار الشعب بالقاهرة.

٩ - صحيح مسلم بشرح النووى وتوفى مسلم ٢٦١هـ، والنووى ٦٧٦ هـ مطبعة دار الشعب.

بالقاهرة .

١١ - الكاف الشاف لابن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ هـ مطبعة دار المعرفة بيروت

١٢ - لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ت ٩١١ هـ دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١٣ - مجمع البيان للطبرسى ت ٥٤٨ هـ ، مطبعة دار المعرفة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

١٤ - المسند للإمام أحمد ت ٢٤١ هـ ، مطبعة المكتب الإسلامى بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٥ - مفاتيح الغيب للفخر الرازى ت ٦٠٦ هـ ، مطبعة دار إحياء التراث العربى بيروت الطبعة الثالثة .

وصلى الله تعالى وسلم على رسولنا محمد وعلى إخوته النبيين والمرسلين وعلى آله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين آمين